ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Habib Kazim Khadir Al-Jubouri

Al-Qasim Green University - College of Education

Email: habeebkadhim@environ.uoqasim.edu.iq

Keywords:

Sacred Places , Holy Quran , Mecca - Kaaba , Geography of the Sacred

CC BY

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 12.Jul.2025

Accepted 3.Sep.2025

Published 10.Nov.2025

Holy Places in the Holy Qur'an (Makkah as a Model)

A B S T R A C T

This study examines the topic of sacred places in the Holy Quran, taking Mecca as a model for research and analysis. The study derives its significance by highlighting the special status that the Holy Quran bestows upon sacred places in general and Mecca in particular, along with the associated legislations and rulings that reflect their importance in the Islamic system. The research aims to explore and analyze how the Holy Quran addresses sacred places, specifically Mecca, through studying the Quranic verses related to it and addressing the epistemological, legislative, and civilizational dimensions of this sacred place, with the goal of reaching a deeper understanding of the relationship between sacred space and Islamic legislation. The research employed a descriptive-analytical methodology, through the induction and analysis of Quranic verses related to Mecca, while utilizing the deductive approach to extract the epistemological and value implications associated with sacred space. A comparative approach was also employed to highlight the uniqueness of Mecca among other sacred places. The research relied on diverse original sources including books of exegesis, hadith, jurisprudence, and history, alongside contemporary studies related to the research topic. The study concluded that: the Holy Quran establishes an integrated theory of "sacred geography" that transcends the purely devotional dimension of sacred places to establish a comprehensive civilizational model; there exists a dialectical relationship between sacred space and Islamic legislation, manifested in the specificity of rulings related to the Sacred Sanctuary (Haram), particularly the prohibition of hunting, which establishes the concept of "spatial coexistence" encompassing humans, animals, and plants; the Holy Quran presents a unique model in dealing with sacred space that goes beyond the traditional understanding of sacredness as merely geographical designation, to establishing the concept of "civilizational space" that reflects Islam's vision of the relationship between humans, place, and time; the establishment of the concept of "comprehensive security" in sacred space to include all beings, which establishes an advanced environmental model in dealing with sacred space.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol61.Iss1.4593

الأماكن المقدسة في القرآن الكريم (مكة المكرمة أنموذجاً)

م.د. حبيب كاظم خضير الجبوري
جامعة القاسم الخضراء ـ كلية التربية

الملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع الأماكن المقدسة في القرآن الكريم، متخذة من مكة المكرمة أنموذجاً للبحث والتحليل. وتكتسب الدراسة أهميتها من خلال تسليط الضوء على المكانة الخاصة التي أولاها القرآن الكريم للأماكن المقدسة عموماً ولمكة المكرمة خصوصاً، وما يرتبط بها من تشريعات وأحكام تعكس أهميتها في المنظومة الإسلامية. تسعى الدراسة إلى استكشاف وتحليل كيفية تناول القرآن الكريم للأماكن المقدسة، وتحديداً مكة المكرمة، من خلال دراسة الآيات القرآنية المتعلقة بها، ومعالجة الأبعاد المعرفية والتشريعية والحضارية لهذا المكان المقدس، بهدف الوصول إلى فهم أعمق للعلاقة بين المكان المقدس والتشريع الإسلامي. اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال استقراء الآيات القرآنية المتعلقة بمكة المكرمة وتحليلها، مع الاستعانة بالمنهج الاستنباطي لاستخراج الدلالات المعرفية والقيمية المرتبطة بالمكان المقدس. كما تم توظيف المنهج المقارن لإبراز خصوصية مكة المكرمة بين الأماكن المقدسة الأخرى. واستند البحث إلى مصادر أصلية متنوعة تشمل كتب التفسير والحديث والفقه والتاريخ، إلى جانب الدراسات المعاصرة المتعلقة بموضوع البحث. توصلت الدراسة إلى أن؛ تأسيس القرآن الكريم لنظرية متكاملة في "جغرافية المقدس" تتجاوز البعد التعبدي البحت للأماكن المقدسة إلى تأسيس نموذج حضاري شامل؛ وجود علاقة جدلية بين المكان المقدس والتشريع الإسلامي، تتجلى في خصوصية الأحكام المتعلقة بالحرم المكي، وتحديداً تحريم الصيد فيه، بما يؤسس لمفهوم "التعايش المكاني" الذي يشمل الإنسان والحيوان والنبات ؛ تقديم القرآن الكريم لنموذج فريد في التعامل مع المكان المقدس يتجاوز الفهم التقليدي للقداسة كمجرد تحديد جغرافي، إلى تأسيس مفهوم "المكان الحضاري" الذي تتجلى فيه رؤية الإسلام للعلاقة بين الإنسان والمكان والزمان؛ تأصيل مفهوم "الأمن الشامل" في المكان المقدس ليشمل جميع الكائنات، مما يؤسس لنموذج بيئي متقدم في التعامل مع المكان المقدس، يحقق التوازن البيئي ويحمي التنوع الحيوي؛ كشف الدراسة عن العلاقة الوثيقة بين المكان المقدس والهوية الإسلامية، من خلال جعل القرآن الكريم للكعبة المشرفة قبلة للمسلمين ورمزاً لوحدتهم وانتمائهم الحضاري.

الكلمات المفتاحية: الأماكن المقدسة ، القرآن الكريم ، مكة المكرمة ، الكعبة المشرفة ، جغرافية المقدس

المقدمة

تحتل الأماكن المقدسة مكانة محورية في الفكر الديني الإسلامي، حيث تمثل نقاط اتصال بين العالم المادي والروحي، ويعد القرآن الكريم المصدر الأساسي الذي أضفى على بعض الأماكن قدسيتها من خلال ذكرها وبيان فضلها وتاريخها ومكانتها في العقيدة الإسلامية. وتبرز مكة المكرمة كأهم هذه الأماكن، إذ ورد ذكرها في النص القرآني بأسماء متعددة وفي سياقات مختلفة، ما يعكس مركزيتها في التصور الإسلامي للكون والوجود. لذا، تسعى هذه الدراسة إلى استجلاء التصور القرآني للأماكن المقدسة، مع التركيز على مكة المكرمة، من خلال تحليل الآيات القرآنية التي ذكرتها وما يرتبط بها من معالم مقدسة كالكعبة والبيت الحرام والمسجد الحرام، بهدف استكشاف أبعادها الروحية والتاريخية والحضارية، وكيف شكلت هذه الأبعاد الوعي الإسلامي بالمكان المقدس. تتمحور مشكلة الدراسة حول أن غالبية الدراسات السابقة التي تناولت الأماكن المقدسة في القرآن الكريم اقتصرت على الجوانب الفقهية والتاريخية، دون التعمق في الأبعاد المعرفية والروحانية التي يمكن استنباطها من النص القرآني، إضافة إلى وجود فجوة معرفية في فهم كيفية تأثير المكان المقدس في تشكيل

الوعي الإنساني الجمعي، وكيف يمكن أن يسهم هذا الفهم في تقديم رؤية معاصرة تتجاوز البعد الطقوسي إلى أبعاد حضارية وإنسانية أكثر شمولية. ومن هنا، تطرح الدراسة أسئلة رئيسة: ما الدلالات اللغوية والمعرفية والروحانية لمكة المكرمة كما وردت في النص القرآني؟ وكيف يمكن استنباط البعد الحضاري والتاريخي للمكان المقدس من خلال الآيات المتعلقة بها؟ وكيف يمكن تقديم رؤية معاصرة لمكانتها الروحية في سياق الوعي الإنساني الجمعي انطلاقًا من القرآن؟ للإجابة على هذه الأسئلة، تفترض الدراسة أن القرآن الكريم يقدم منظومة دلالية متكاملة حول مكة المكرمة تتجاوز البعد الجغرافي إلى أبعاد روحية ومعرفية تؤسس لفهم شامل للمكان المقدس، وأنه يمكن استنباط نظرية حضارية متكاملة من خلال تحليل الآيات المتعلقة بها وربطها بسياقها التاريخي والثقافي، وأن النص القرآني يتيح تأسيس رؤية معاصرة تسهم في تعزيز الوعي الإنساني الجمعي وتجاوز الانقسامات الثقافية والدينية. وتسعى الدراسة إلى تحقيق أهداف محددة تشمل تحليل الدلالات اللغوية والمعرفية والروحانية لمكة المكرمة، واستكشاف بعدها الحضاري والتاريخي، وتقديم رؤية معاصرة لمكانتها الروحية، إضافة إلى إبراز العلاقة بين المكان المقدس والهوية الإسلامية، واقتراح نظرية "مركزية المكان المقدس في الوعي الإنساني" كإطار معرفي لفهم دوره في التجربة الإنسانية.

في سبيل ذلك، تعتمد الدراسة منهجًا تحليليًا وصفيًا لتفكيك الآيات القرآنية المتعلقة بمكة المكرمة ومعالمها المقدسة، مع الاستعانة بالمنهج الاستقرائي لاستخلاص الدلالات المعرفية والروحانية، والمنهج التاريخي لفهم السياق التاريخي لهذه الآيات، والمنهج المقارن لإبراز خصوصية التصور القرآني للمكان المقدس مقارنة بالتصورات الدينية والفلسفية الأخرى. ومن خلال هذا الإطار المنهجي، تهدف الدراسة إلى تقديم فهم شامل لمكانة مكة المكرمة في النص القرآني، وربطها بالوعي الإنساني المعاصر بما يعزز دورها كمركز روحي وحضاري يتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية..

المبحث الأول: الأماكن المقدسة في القرآن الكريم – إطار مفاهيمي

المطلب الأول: مفهوم المكان المقدس في الفكر الإسلامي

يشير مصطلح "المكان المقدس" في اللغة العربية إلى المكان الذي أُضفي عليه صفة القداسة والتكريم. فكلمة "مكان" في اللغة تدل على الموضع، وأصلها من الفعل "كان"، والجمع "أمكنة" و"أماكن" أبو منصور: المكان والمكانة واحد. مكان في أصل تقدير الفعل مفعل، لأنه موضع لكينونة الشيء فيه، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى فعال، فقالوا: "مكنا له وقد تمكن، وليس هذا بأعجب من تمسكن من المسكن"، والدليل على أن المكان مفعل أن العرب لا تقول في معنى هو مني مكان كذا وكذا إلا مفعل كذا وكذا، بالنصب. والمكان الموضع، والجمع أمكنة كقذال وأقذلة، وإنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية لأن العرب تشبه الحرف بالحرف، يبطل أن يكون مكان فعالا لأن العرب تقول: "كن مكانك، وقم مكانك، واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه، وفلان لا يمكنه النهوض أي لا يقدر عليه. ابن سيده: وتمكن من الشيء واستمكن ظفر، والاسم من كل ذلك المكانة. قال أبو منصور: ويقال أمكنني الأمر، يمكنني، فهو ممكن، ولا يقال أنا أمكنه بمعنى أستطيعه"، ويقال: لا يمكنك الصعود إلى هذا الجبل، ولا يقال أنت تمكن الصعود إليه . (ابن منظور، لسان العرب، المجلد ١٣، ص ٤١٤).

أما كلمة "مقدس" فهي القدس، بالضم وبضمتين: الطهر، اسم، ومصدر، وجبل عظيم بنجد، والبيت المقدس، وجبريل، كروح القدس. وقدس الأسود والأبيض: جبلان. وكغراب: شيء يعمل كالجمان من الفضة، والحجر ينصب على مصب الماء في الحوض، وقد يفتح مشددا، أو حجر يطرح في حوض الإبل، يقدر عليه الماء، يقتسمونه بينهم، والمنيع الضخم من الشرف. وكصرد وكتب: قدح نحو الغمر. وكأمير: الدر. وكجبل: السطل. ود قرب حمص، وإليه تضاف جزيرة قد س. والقادس: "السفينة العظيمة، وجزيرة بالأندلس، وقصبة بهراة". والقادسية: "قرب الكوفة، مر بها إبراهيم عليه السلام"، فوجد

بها عجوزا، فغسلت رأسه، فقال: قدست من أرض. فسميت بالقادسية، ودعا لها أن تكون محلة الحاج. والتقديس: التطهير، ومنه الأرض المقدسة، وبيت المقدس، كمجلس ومعظم. وكمحدث: الراهب. والقدوس: "من أسماء الله تعالى، ويفتح، أي: الطاهر"، أو المبارك: "وكل فعول مفتوح غير قدوس وسبوح وذروح وفروج، فبالضم، ويفتحن. وهو قدوس بالسيف، كصبور: قدوبه، وسموا: قيداسا ومقداسا". وتقدس: "تطهر. وقديسة، كجهينة: بنت الربيع أم عبد الرحمن بن إبراهيم بن الزبير بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف. والحسين بن قداس، كغراب: محدث". (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص٢٣٩).

أما اصطلاحاً، إنّ المفهوم الإسلامي للمقدّس لا يختلف كثيرًا عن مفاهيم الديانات السابقة، كاليهودية والنصرانية، غير أنّ ثمّة إضافات تتعلّق بمعاني المقدّس في أصل الدين الإسلامي، تُجمع النصوص على كونها من المحرّمات، والمحرّمات في الإسلام تُعدّ مقدّسة، استنادًا إلى قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) [البقرة: ٢١٧]، وقوله تعالى: (إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) [طه: ١٢]، وأيضًا قوله تعالى: (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) [البقرة: ٣٠]، أي نُظهر الأشياء على هيئة تمجيد وتنزيه لك، وقيل: نقدّسك، أي نصفك بالتقديس.

ومن الآيات كذلك قوله تعالى: (وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) [البقرة: ٨٧]، وقوله تعالى: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ) [المائدة: ٢١]، وقوله تعالى: (هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ) [الحشر: ٢٣].

وقد وردت في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتناول مفهوم المقدّس، وتُشير إلى أماكن بعينها كالمسجد الحرام (البلد الحرام الذي تقع فيه الكعبة)، والبيت الحرام (الكعبة المشرّفة)، كما تشمل كذلك أشياء وأسماء مقدّسة، منها: الشهر الحرام، وروح القدس، وغير ذلك مما يُضفي على المفهوم الإسلامي للمقدّس طابعًا شموليًّا وروحيًّا يتجاوز المكان ليشمل الزمان والمعنى). (بودالي، وأم الخير. ٢٠٢٢. ٩٤).

يمكن تصنيف الأماكن المقدسة في القرآن الكريم إلى عدة أنواع:

أماكن العبادة: وهي الأماكن التي خصصها الله تعالى للعبادة والصلاة، كالمسجد الحرام، والمسجد الأقصى، والمساجد بشكل عام. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

أماكن الشعائر: وهي الأماكن التي تؤدى فيها شعائر وعبادات محددة، مثل عرفات ومزدلفة ومنى للحج. قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨].

أماكن ذات دلالة تاريخية: وهي الأماكن التي ارتبطت بأحداث تاريخية مهمة في تاريخ الرسالات السماوية، مثل الطور الذي كلم الله عليه موسى. قال تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

أماكن ذات دلالة روحية: وهي الأماكن التي ترتبط بمعانٍ روحية خاصة، مثل وادي طوى الذي وصفه الله بالمقدس. قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢].

أن آيات القرآن الكريم تحدّثت عن عدد من الأماكن المقدسة، غير أن الغالب فيها هو حديثها عن المساجد؛ فالمسجد عند المسلمين يُعدّ العنوان العام للمكان المقدس الذي يربط العبد بربّه، وقد ورد ذكره في مواضع عديدة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) (التوبة: ١٨)،

وقوله تعالى: (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) (الأعراف: ٢٩).

ويُشدِّد الله تعالى على أن تبقى هذه المساجد مخصصة للغاية التي وُجدت من أجلها، وهي عبادة الله، والدعاء، والرجاء، والتضرع إليه سبحانه وتعالى، دون إشراكٍ به، كما في قوله تعالى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن: ١٨).

وقد ورد في تفسير هذه الآية: "والمساجد المخصوصة بيّنة التمكّن في كونها لله تعالى، فيصلح أن تُفرد للعبادة، وكل ما هو خالصٌ لله تعالى، وأن لا يُتحدث فيها بأمور الدنيا، ولا يُجعل فيها لغير الله نصيب."

وتجدر الإشارة إلى أن لفظ (المسجد) هو مصطلح خاص بمكان العبادة عند المسلمين، ويقابله مصطلحات أخرى لدى أصحاب الديانات الأخرى، مثل: (الصومعة) للنصارى، و(البيعة) لليهود، و(المصلى) للصابئة. وقد وردت هذه المصطلحات في قوله تعالى:

(الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) (الحج: ٤٠).

يتميز المكان المقدس في القرآن الكريم بعدة خصائص، منها:

الاختيار الإلهي: المكان المقدس هو اختيار إلهي وليس اختياراً بشرياً. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

البركة: المكان المقدس موصوف بالبركة في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

الأمن: المكان المقدس يتصف بالأمن والأمان. قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥].

الهداية: المكان المقدس مصدر هداية للناس. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

وفيه عن الباقر عليه السلام : إنما سميت مكة بكة لأنه يبك بها الرجال والنساء، المرأة تصلي بين يديك، وعن يمينك، وعن شمالك ومعك ولا بأس بذلك إنما يكره ذلك في سائر البلدان. وفيه عن الباقر عليه السلام قال : لما أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربن متن الماء حتى صار موجاً ثم أزبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت ثم جعله جبلاً من زبد ثم دحى الأرض من تحته وهو قول الله : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً)، فأول بقعه خلقت من الأرض الكعبة ثم مدت الأرض منها. (الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص ٣٥٦).

المطلب الثاني: المكانة المعرفية للأماكن المقدسة في القرآن الكريم

يشكل المكان المقدس في التصور القرآني مصدراً للمعرفة، من خلال ارتباطه بتاريخ الوحي والنبوة. فالمكان المقدس هو مكان تجلي الوحي الإلهي، ما يجعله مصدراً للمعرفة الإلهية. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

كما أن المكان المقدس يحمل في طياته شواهد على قدرة الله وآياته، ما يجعله مصدراً للتفكر والتدبر واكتساب المعرفة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

يلعب المكان المقدس دوراً محورياً في تشكيل الهوية الإسلامية، من خلال ارتباطه بالشعائر والعبادات التي تميز المسلم. فالصلاة ترتبط باستقبال القبلة في المسجد الحرام، والحج يرتبط بمكة المكرمة وما حولها من مشاعر مقدسة.

قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

يرى كراتشكوفسكي أن "ومن الطبيعي أن يتجه اهتمام العلماء في ظروف ذلك العهد إلى «المدن المقدسة»، كما اتجه اهتمام اللغويين من قبل إلى بلاد العرب. ونلتقى في القرن التاسع بمؤلّفين على الأقل كتبا في تاريخ مكة، أحدهما هو الأزرقي (المتوفى عام ٢٤٤ هـ . ٨٥٨) [٦١] والآخر الفاكهي (المتوفى حوالى عام ٢٧٢ هـ . ٨٨٥) [٦٢]، وينحدر الأول من أسرة تنتسب إلى آل غسّان وتربطها الرواية بالحديث النبوي. وهذا النوع من المصنفات في تواريخ المدن انبعث نتيجة لاهتمام المسلمين بالأماكن المقدسة وحاجتهم إلى مصنف يكون أشبه بدليل جغرافي للتعريف بنواحيها ووصف الشعائر الدينية المرتبطة بهذا" (كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي. ج١، ص ١٦٧).

يمثل المكان المقدس في التصور القرآني مستودعاً للذاكرة الجمعية للأمة الإسلامية، من خلال ارتباطه بأحداث تاريخية مفصلية في تاريخ الإسلام والرسالات السماوية السابقة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

يقول ابن الجوزي عن الأماكن المقدسة: "إن مدينة القدس قد بلغ في الربع الأخير من القرن السادس للهجرة مكانة كبرى في العلم والفضل والمعرفة سأله أحد المقدسيين أن يذكر له فضائل بيت المقدس فكتب كتابه هذا وجعل أكثره مسندا كما لو كان يكتب كتابا يروي فيه الحديث النبوي وقد رجع بالفعل في بعض أخباره مسلسلة حتى تصل إلى النبي وفي بعضها الآخر حتى تصل إلى الامام علي [عليه السلام]"(ابن الجوزي، فضائل القدس، ج١، ص ١١).

المبحث الثاني: مكة المكرمة في القرآن الكريم – دراسة تحليلية

المطلب الأول: أسماء مكة المكرمة في القرآن الكريم ودلالاتها

ورد ذكر مكة المكرمة في القرآن الكريم بعدة أسماء وصفات، منها:

مكة: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤].

بكة: قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

أم القرى: قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢].

البلد الأمين: قال تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٣].

البلد الحرام: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

يقول المحمدي الري شهري: " ولعل السبب في كثرة أسماء مكة أهميتها لدى القبائل المختلفة، فكانت تعرف لدى كل منها بأحد هذه الأسماء. " (المحمدي الري شهري، الحج والعمرة في الكتاب والسنة، ج١، ص ٣٣).

لأسماء مكة المكرمة في القرآن الكريم دلالات لغوية عميقة، منها:

هناك اختلاف في تسمية مدينة مكة في عدد أسمائها واشتقاقاتها (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، ص ٤٧؛ المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص ٥، تاريخ أمراء مكة المكرمة؛ صص١٣–١٨)، حتى ذكر لها بعض المؤرخين أكثر من

ثلاثين أسماً (الجامع اللطيف؛ ص ١٦٢، وأخبار مكة للأزرقي؛ ج١، ص ٢٨٣) كما أن هنالك أقوالا وآراء مختلفة بين اللغويين بالنسبة إلى اشتقاق كثير من هذه الأسماء، وبخاصة مكة وبكة (ابن منظور، لسان العرب؛ ج١٠، ٤٠٢ و٤٩١/ المفردات؛ ص١٤٢ و ٧٧٢ / الفراهيدي، العين، ٩٢/ النهاية؛ ج١، ص ١٥٠)

ولكن بعدما مر من روايات عن أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المجال، لا حاجة لإطالة البحث بذكر أقوال اللغويين.

فمن أهم الأسماء الأخرى التي ذكرت لمكة المكرمة: المعاد، والصلاح، وكوثى، والحاطمة، والرأس، والقادس (أخبار مكة للأزرقي: ١ / ٢٨٠ – ٢٨٢، أخبار مكة للفاكهي: ٢ / ٢٨٠، تاريخ أمراء مكة المكرمة: ١٨.)

مكة: اختلف العلماء في اشتقاق اسم مكة، فرُوِيَ عن الرضا عليه السلام: سميت مكة لان الناس كانوا يمكون فيها، وكان يقال لمن قصدها: قد مكا وذلك قول الله عز وجل " وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية " فالمكاء التصفير والتصدية. (العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ٧٧).

بكة: رُوِي عن الحسن بن محبوب عن عبد الله ابن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام لم سميت الكعبة بكة؟ فقال: لبكاء الناس حولها وفيها. (الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج ٢، ص ٣٩٧)

أم القرى: قد قيل إن مكة سميت "أمّ القُرى"، لتقدُّمها أمامَ جميعِها، وجَمْعِها ما سواها (الطبري، جامع البيان، المجلد١، ص ١٠٨).

البلد الأمين: "والمراد بهذا البلد الأمين مكة المشرفة لان الامن خاصة مشرعة للحرم" وهي فيه قال تعالى: " أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا " العنكبوت: ٦٧

وفي دعاء إبراهيم عليه السلام على ما حكى الله عنه: " رب اجعل هذا بلدا آمنا " البقرة: ١٢٦، وفي دعائه ثانيا: رب اجعل هذا البلد آمنا " إبراهيم: ٣٥.

"وفي الإشارة بهذا إلى البلد تثبيت التشريف عليه بالتشخيص وتوصيفه بالأمين إما لكونه فعيلا بمعنى الفاعل ويفيد معنى النسبة والمعنى ذي الامن كاللابن والتآمر وإما لكونه فعيلا بمعنى المفعول والمراد البلد الذي يؤمن الناس فيه أي لا يخاف فيه من غوائلهم ففي نسبة الامن إلى البلد نوع تجوز" (الطباطبائي، الميزان، ج٢٠، ص ٣١٩).

واتضح أنه تعكس الدلالات اللغوية لأسماء مكة المكرمة أبعاداً روحية وتاريخية وحضارية، تجعلها مركزاً روحياً للعالم أجمع.

تحمل أسماء مكة المكرمة في القرآن الكريم دلالات معرفية عميقة، منها:

المركزية: يشير وصف مكة بـ "أم القرى" إلى مركزيتها في التصور الإسلامي للكون والوجود. فهي المركز الروحي للعالم، ومنها تنطلق الهداية إلى العالم أجمع.

الأمان: يشير وصف مكة بـ "البلد الأمين" و"الحرم الآمن" إلى كونها ملاذاً آمناً للناس، روحياً ومادياً. فهي مكان للسكينة والطمأنينة وسط عالم مضطرب.

البركة: يشير وصف مكة بـ "المباركة" إلى كونها مصدراً للخير المتجدد والعطاء المستمر، ما يجعلها مقصداً للناس على مر العصور.

و أصبح واضحاً أنه تعكس الدلالات المعرفية لأسماء مكة المكرمة في القرآن الكريم رؤية كونية متكاملة، تجعل من المكان المقدس نقطة ارتكاز للوعي الإنساني بالله والكون والوجود.

المطلب الثاني: خصائص مكة المكرمة في القرآن الكريم

اتصفت مكة المكرمة في القرآن الكريم بصفة القداسة والبركة، حيث وردت آيات كثيرة تؤكد هذه الخصيصة المميزة. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]. فقد وصف الله تعالى البيت الحرام بكونه "مباركاً"، والبركة هي الخير الكثير المتجدد.

وتتجلى بركة مكة المكرمة في عدة جوانب:

البركة المعنوية: وتتمثل في مضاعفة الأجر والثواب للعبادات التي تؤدى فيها. ففي الحديث الصحيح: "...يَا أَبَا ذَرٍّ صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا تَعْدِلُ أَلْفَ... تَعْدِلُ مِائَةَ أَلْفِ صَلاَةٍ فِي غَيْرِهِ وَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ صَلاَةٌ يُصَلِّيهَا اَلرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ..." (ورام، تنبيه الخواطر و نزهة النواظر، ج٢، ص ٥١).

البركة الزمانية: جاء في كتاب مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية (٣–٤ ذو الحجة ١٤٢٦هـ) أن من مظاهر تفضيل الأماكن أن الله تبارك وتعالى فضّل مكة المكرمة، فكانت موضع البركات، وفيها تتضاعف الأجور والحسنات، ويتعاظم الثواب بحلول الزمان المبارك. ومن هنا، فإن من حِكَم فريضة الحج، بالإضافة إلى كونها امتثالاً لأمر إلهي، أنها تعرّض كلّ مسلم لتجربة روحية وسلوكية سامية، تُزكّي النفس، وتهذب السلوك، وتعمّق معاني الوحدة والارتباط بالخالق والمخلوق في آنٍ معاً. (وزارة الحج. مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية؛ ١٤٢٦ هـ، ص ١٩٦)

قال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

البركة المكانية: حيث أن مكة المكرمة تجذب إليها قلوب المؤمنين من كل بقاع الأرض. قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥].

يسعى المسلمون إلى الحصول على البركة في مكة المكرمة من خلال زيارة الأماكن المقدسة، مثل المسجد الحرام والكعبة المشرفة، وأداء العبادات، مثل الصلاة والدعاء وتعتبر البركة جزءًا أساسيًا من التجربة الدينية في مكة، حيث يعتقد المسلمون أنها تجلب الخير واليمن والنجاح في الدنيا والآخرة " (Meri. 1999 :40.).

من أبرز خصائص مكة المكرمة في القرآن الكريم صفة الأمن والأمان، وقد وردت آيات كثيرة تؤكد هذه الخصيصة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

ويتجلى الأمن في مكة المكرمة في عدة صور:

الأمن التشريعي: حيث حرم الله فيها القتال وسفك الدماء وقطع الأشجار وصيد الحيوان. قال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

الأمن النفسي: حيث يشعر المسلم في مكة المكرمة بالسكينة والطمأنينة والقرب من الله تعالى. قال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤].

الأمن الاجتماعي: حيث يجتمع المسلمون في مكة المكرمة من كل بقاع الأرض، فتذوب الفوارق الاجتماعية والثقافية، ويشعر الجميع بالأخوة والمساواة. قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

يقول مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل: " وليس أفراد البشر آمنين هناك فحسب، بل الحيوانات والطيور آمنة أيضا في هذه البقعة، ولا يحق لأحد أن يمسها بسوء. وفي عالم يعج دوما بالنزاع والصراع، يستطيع مثل هذا المركز الآمن أن يكون له الأثر العميق في حل المشاكل وفض النزاعات، إذ يستطيع الفرقاء المتنازعون أن يجلسوا حول طاولة واحدة عند هذا البيت الآمن، ويفتحوا بينهم حوارا قد يكون مقدمة لإزالة الخصومات والنزاعات " (مكارم الشيرازي، الأمثل، ج١، ص ٣٧٩).

ويرى الرازي أن "الصفة الأولى التي لمكة كونها آمنة أي ذات أمن لا يغار عليهم كما قال: * (أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) * (العنكبوت: ٦٧) والأمر في مكة كان كذلك، لأن العرب كان يغير بعضهم على بعض. أما أهل مكة، فإنهم كانوا أهل حرم الله، والعرب كانوا يحترمونهم ويخصونهم بالتعظيم والتكريم. " (الرازي، تفسير الرازي، ج٢٠، ص ١٢٧).

تتميز مكة المكرمة في القرآن الكريم بكونها مصدر هداية ونور للعالمين. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

وتتجلى هذه الهداية في عدة جوانب:

الهداية الدينية؛ حيث كانت مكة المكرمة مهبط الوحي ومنطلق الرسالة المحمدية التي هدت البشرية إلى الصراط المستقيم. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

الهداية الروحية؛ حيث يشعر المسلم في مكة المكرمة بالقرب من الله تعالى والاتصال به، فتتجلى له معاني الإيمان والتوحيد. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

الهداية الحضارية؛ حيث كانت مكة المكرمة منطلق حضارة إسلامية عالمية، قامت على قيم العدل والرحمة والمساواة، وأنارت العالم بنورها. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

ويشير المكارم الشيرازي فهذا البيت المقدس رمز وحدة الناس ومركز لتجمع القلوب حوله، ومؤتمر عظيم لتوثيق الروابط المختلفة، فهم في ظل هذا البيت المقدس وفي مركزيته ومعنويته المستمدة من جذور تاريخية عميقة يستطيعون إصلاح الكثير مما يستوجب الإصلاح والترميم في حياتهم، وإقامة سعادتهم على قواعده المتينة " (مكارم الشيرازي، الأمثل، ج٤، ص ١٥٦).

المطلب الثالث: الأبعاد الحضارية لمكة المكرمة في القرآن الكريم

تبرز مكة المكرمة في القرآن الكريم كمركز للأحداث التاريخية المفصلية في تاريخ البشرية. فقد ارتبطت بقصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبناء الكعبة المشرفة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

كما ارتبطت بقصة محمد صلى الله عليه وسلم ونزول الوحي فيها، وما تلاها من أحداث عظيمة غيرت مجرى التاريخ البشري. قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١].

تتجلى مكة المكرمة في القرآن الكريم كمركز روحي للعالم أجمع، حيث تهفو إليها قلوب المؤمنين، وتشد إليها الرحال. قال تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ويتجلى البعد الروحي لمكة المكرمة في عدة مظاهر:

التعلق القلبي، حيث يشعر المسلم بتعلق قلبي خاص بمكة المكرمة، يدفعه إلى الحنين إليها والشوق لزيارتها. عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال في مكة: " ما أطيبك من بلد! وأحبك إلي! ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك " (الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج، ص ٣٣٤).

التجرد من الدنيا؛ حيث يتجرد الحاج أو المعتمر من ملابسه المعتادة ويلبس ثياب الإحرام، في إشارة رمزية إلى التجرد من الدنيا والإقبال على الله تعالى. قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

التطهر الروحي، حيث يشعر المسلم في مكة المكرمة بتطهر روحي من الذنوب والمعاصي، وبداية جديدة في حياته. "عن النبي (ص) أنه قال من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وقال (ص) الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة.(السيد البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج ١٠، ص ١٥٠).

تبرز مكة المكرمة في القرآن الكريم كمركز للتواصل الاجتماعي والإنساني، حيث تلتقي فيها الشعوب والقبائل من كافة أنحاء العالم. قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

ويتجلى البعد الاجتماعي لمكة المكرمة في عدة مظاهر:

الوحدة والتآلف، حيث يجتمع المسلمون في مكة المكرمة على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وثقافاتهم، فيشعرون بالوحدة والتآلف. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

التكافل والتعاون، حيث يتجلى التكافل والتعاون بين المسلمين في مكة المكرمة، من خلال مشاركتهم في أداء المناسك والشعائر. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

يقول الحاج مالك بن داود: بأن الحج إنما هو مؤتمر إسلامي كبير يشترك فيه آلاف من المسلمين القادمين من بلاد مختلفة ومن أماكن شتى فبعضهم على مذهب الحنفي والبعض الآخر على مذهب الحنبلي وقد يكون بعض هذه المذاهب يفضل القبض ويأمر به (حاج مالك بن الشيخ داود، الحقائق الإسلامية في الرد على المزاعم الوهابية، ص ٤٥).

المبحث الثالث: المعالم المقدسة في مكة المكرمة وذكرها في القرآن الكريم

وردت الكعبة المشرفة في القرآن الكريم بعدة أسماء وصفات، منها:

الكعبة: قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]. والكعبة بيت مكة وسمي كعبة لتربيعه قال أهل اللغة كل بيت مربع فهو مكعب وكعبة (ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٢، ص ٢٤٣).

البيت الله الحرام: قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]. عن حنان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام لم سمي بيت الله الحرام؟ قال: لأنه حرم على المشركين ان يدخلوه. (الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج ٢، ص ٣٩٨).

البيت العتيق: قال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]. قلت لأبي جعفر عليه السلام في المسجد الحرام لأي شيء سماه الله العتيق؟ قال ليس من بيت وضعه الله على وجه الأرض إلا له رب وسكان يسكنونه غير هذا البيت فإنه لا يسكنه أحد ولا رب له إلا الله وهو الحرام، وقال إن الله خلقه قبل الخلق ثم خلق الله الأرض من بعده فدحاها من تحته.(الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج ٢، ص ٣٩٩).

ذكر القرآن الكريم عدة فضائل للكعبة المشرفة، منها:

أول بيت وضع للناس؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]. وهذا يدل على قدم الكعبة وعراقتها، وأنها أقدم مكان للعبادة عرفته البشرية.

قيام للناس؛ قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]. أي جعلها سبباً لقيام مصالح الناس الدينية والدنيوية، فهي مركز للعبادة والاقتصاد والسياسة والاجتماع.

فيها آيات بينات؛ قال تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. وهذا يدل على أن الكعبة تحتوي على دلائل واضحة على وحدانية الله وقدرته، وعلى صدق رسالة الإسلام.

قبلة المسلمين؛ قال تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]. وهذا يدل على مركزية الكعبة في العبادة الإسلامية، وأنها نقطة التقاء قلوب المسلمين في كل أنحاء العالم.

يقول السيد الحكيم: " للقرار الذي كان القرآن قد اتخذه بجعل الكعبة قبلة للمسلمين، تأكيدا لاستقلالية الرسالة في كل معالمها لان صرف الانظار عن الأرض المقدسة وبيت المقدس الذي كان يحظى بالقدسية الخاصة – وما زال – بسبب نشوء الديانات المختلفة فيه، ووجود إبراهيم وأنبياء بني إسرائيل كلهم في هذه الأرض يحتاج إلى اعطاء هذه الأهمية للبيت والكعبة المشرفة وهذا الانتساب الأصيل إلى إبراهيم (عليه السلام). (الحكيم، علوم القرآن، ص ٣٧٦)

ذكر القرآن الكريم عدة أحكام تتعلق بالكعبة المشرفة، منها:

وجوب استقبالها في الصلاة:

قال تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

فقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالتوجه في صلاتهم نحو المسجد الحرام، وهو أمر يدل على الوجوب. وأجمع العلماء على أن استقبال القبلة شرط لصحة الصلاة إلا في حالات معينة كصلاة المسافر النافلة وصلاة الخوف.

جعلها قياماً للناس:

قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ [المائدة: ٩٧].

فالكعبة المشرفة سبب لإقامة مصالح الناس الدينية والدنيوية، فهي قوام لدينهم ودنياهم. ولولا الكعبة لاختل نظام الناس وفسدت مصالحهم، فهي سبب لاجتماعهم وألفتهم وتوحدهم.

تحريم القتال عندها:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١].

يستفاد من هذه الآية حرمة القتال في المسجد الحرام ابتداءً، وهذا من تعظيم حرمات الله تعالى، إلا في حالة الدفاع عن النفس إذا بدأ العدو بالقتال.

وجوب الطواف بها:

قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

الطواف بالبيت الحرام من مناسك الحج والعمرة، وهو ركن من أركان الحج لا يصح الحج إلا به، كما أنه عبادة مستقلة يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى.

تطهيرها من الشرك والأوثان:

قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

أمر الله تعالى بتطهير بيته من الأصنام والأوثان وكل ما يخالف التوحيد، وتطهيره أيضاً من النجاسات الحسية، وذلك لتكون عبادة الطائفين والعاكفين والمصلين خالصة لله وحده.

تحريم انتهاك حرمتها:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

توعد الله تعالى كل من يريد الإلحاد والظلم في المسجد الحرام بالعذاب الأليم، وهذا يدل على عظم حرمة البيت الحرام وشدة عقوبة من ينتهك حرمته.

جعلها مثابة للناس وأمناً:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥].

جعل الله تعالى البيت الحرام مكاناً يثوب إليه الناس ويقصدونه من كل مكان للعبادة والنسك، وجعله أيضاً مكاناً للأمن والأمان، فمن دخله كان آمناً.

تعظيم شعائر الله عندها:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

تعظيم شعائر الله تعالى من تقوى القلوب، والكعبة المشرفة من أعظم شعائر الله، فتعظيمها واحترامها من علامات التقوى وصلاح القلب.

تحريم صيد الحرم:

قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦].

حرم الله تعالى الصيد في الحرم، سواء للمحرم أو غير المحرم، وهذا من خصائص البيت الحرام وتعظيم حرماته.

وبهذه الأحكام وغيرها، بيّن القرآن الكريم مكانة الكعبة المشرفة وعظمتها، وأهمية احترام حرمتها والتأدب عندها، فهي قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم.

ويُعدّ تحريم الصيد في الحرم من التشريعات الفريدة التي جاء بها القرآن الكريم، وقد فصّلها العلماء بدقة بالغة. فالآية الكريمة تشير إلى التفرقة بين حكم صيد البحر الذي أباحه الله تعالى، وصيد البر الذي حرّمه على المحرمين. وقد أجمع أهل العلم على أن تحريم الصيد في الحرم يشمل المحرم وغير المحرم، بينما يختص التحريم خارج الحرم بالمحرم فقط.

وتتجلى الحكمة من تحريم الصيد في الحرم في عدة جوانب:

١. تعظيم حرمات الله تعالى؛ فالحرم المكي يمثل بقعة مقدسة اختارها الله تعالى لبيته العتيق، فاقتضت حكمته أن تكون آمنة لكل من دخلها، حتى الحيوانات والطيور.

٢. تربية المسلم على احترام القداسة؛ إن في منع الصيد تربية للمسلم على احترام حرمة المكان المقدس والالتزام بأحكامه الخاصة، يقول ابن القيم: "فإن المنع من إيذاء الصيد في الحرم إنما هو لِحُرمة البقعة التي شرفها الله وعظَّمها" (زاد المعاد، ج٢، ص٢٧٩).

٣. تحقيق الأمن الشامل؛ من مقاصد تحريم الصيد في الحرم تحقيق الأمن الشامل الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. وهذا الأمن يشمل الإنسان والحيوان على حد سواء.

والتزام المسلمين بهذا الحكم الشرعي على مر العصور جعل الحرم المكي ملاذًا آمنًا للطيور والحيوانات، حتى أصبحت تألف الناس ولا تنفر منهم، وفي هذا آية من آيات الله تعالى ومعجزة مستمرة تشهد على صدق هذا الدين وسماحته، وشمول أحكامه لجميع جوانب الحياة.

الطواف حول الكعبة المشرفة من أعظم العبادات التي شرعها الله تعالى، وهو ركن من أركان الحج والعمرة، قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]. وقد ورد ذكر الطواف في القرآن الكريم في مواضع متعددة، مما يدل على أهميته ومكانته العظيمة في الإسلام.

رأي الباحث

بعد هذه الدراسة المستفيضة للأماكن المقدسة في القرآن الكريم وخاصة مكة المكرمة، يتبلور لدي رأي حصري حول العلاقة بين القداسة المكانية وبناء الوعي الحضاري الإسلامي. فمن خلال تتبع الآيات القرآنية المتعلقة بمكة المكرمة وخصائصها، أرى أن القرآن الكريم أسس لنظرية متكاملة في "جغرافية المقدس" تتجاوز البعد التعبدي البحت للأماكن المقدسة إلى تأسيس نموذج حضاري شامل.

فالقداسة في المنظور القرآني ليست مجرد وصف للمكان، بل هي منظومة متكاملة تؤسس لعلاقة جدلية بين المكان المقدس والإنسان والتشريع، بحيث تشكل نسيجاً متكاملاً يهدف إلى بناء التصور الإسلامي للكون والحياة. ولعل أحكام الصيد في الحرم تمثل نموذجاً واضحاً لهذه العلاقة، إذ تتجلى فيها خصوصية المكان المقدس في التشريع الإسلامي، وكيف أن هذه الخصوصية تؤسس لمفهوم "التعايش المكاني" الذي يشمل الإنسان والحيوان والنبات.

أستطيع القول إن القرآن الكريم قدم نموذجاً فريداً في التعامل مع المكان المقدس، يتجاوز الفهم التقليدي للقداسة كمجرد تحديد جغرافي، إلى تأسيس مفهوم "المكان الحضاري" الذي تتجلى فيه رؤية الإسلام للعلاقة بين الإنسان والمكان والزمان. فمكة المكرمة في القرآن ليست مجرد مدينة مقدسة، بل هي نموذج حضاري متكامل يعكس فلسفة الإسلام في التعامل مع المكان كوعاء للقيم والمبادئ الإنسانية.

إن تحليل النصوص القرآنية المتعلقة بالحرم المكي يكشف عن رؤية شمولية للمكان المقدس تجمع بين البعد الروحي والتشريعي والاجتماعي، مما يجعل مكة المكرمة نموذجاً فريداً للتكامل بين القداسة الدينية والوظيفة الاجتماعية للمكان. وهذا يفتح آفاقاً جديدة لدراسة المكان المقدس في الإسلام من منظور حضاري يتجاوز الأطر التقليدية التي حصرت دراسة الأماكن المقدسة في البعد الفقهي أو التاريخي فقط.

النتائج للدراسة

١. تأسيس القرآن الكريم لمفهوم "جغرافية المقدس" من خلال نظام متكامل يجمع بين التقديس المكاني والتشريع الإلهي، يتجلى بوضوح في خصوصية الأحكام المتعلقة بمكة المكرمة.

٢. تميز مكة المكرمة في القرآن الكريم بتعدد الأسماء والصفات التي تعكس تعدد وظائفها الروحية والتشريعية والاجتماعية، مما يجعلها نموذجاً فريداً للمدينة المقدسة في التصور الإسلامي.

٣. وجود علاقة جدلية بين المكان المقدس والتشريع الإسلامي تتجاوز البعد التعبدي إلى التأسيس لنموذج حضاري شامل، يظهر ذلك جلياً في خصوصية أحكام الحرم المكي.

٤. تأصيل مفهوم "الأمن الشامل" في المكان المقدس ليشمل جميع الكائنات، وهو ما يتضح في تحريم الصيد في الحرم وتشريع الجزاءات المترتبة على انتهاك هذه الحرمة.

٥. تجلي البعد الإنساني في تشريعات الحرم المكي من خلال منظومة متكاملة من الأحكام تهدف إلى تربية المسلم على احترام قدسية المكان وعدم الاعتداء على مكوناته البيئية.

٦. تقديم القرآن الكريم لنموذج بيئي متقدم في التعامل مع المكان المقدس يحقق التوازن البيئي ويحمي التنوع الحيوي، سبق بذلك التشريعات البيئية المعاصرة بقرون عديدة.

٧. ارتباط تقديس مكة المكرمة في القرآن الكريم بالبعد الإبراهيمي الذي يؤكد عمق الصلة بين الرسالات السماوية ووحدة مصدرها، من خلال تأكيد القرآن على دور إبراهيم عليه السلام في بناء الكعبة المشرفة.

٨. تجاوز مفهوم المكان المقدس في القرآن الكريم للبعد المادي الجغرافي إلى البعد الرمزي الذي يجعل من مكة المكرمة مركزاً روحياً للمسلمين في جميع أنحاء العالم.

٩. تأسيس القرآن الكريم لمفهوم "المكان الحضاري" الذي يتجاوز البعد التعبدي للمكان المقدس إلى تأسيس منظومة قيمية وتشريعية متكاملة تشكل نموذجاً للمدينة الإسلامية.

١٠. تقديم القرآن الكريم لنموذج فريد في التعامل مع المكان المقدس يقوم على التوازن بين الثبات والتغير، من خلال الحفاظ على ثوابت الحرم المكي مع مراعاة المتغيرات الزمانية والمكانية.

١١. كشف الدراسة عن علاقة وثيقة بين المكان المقدس والهوية الإسلامية تتجلى في جعل القرآن الكريم للكعبة المشرفة قبلة للمسلمين ورمزاً لوحدتهم وانتمائهم الحضاري.

١٢. تأصيل مفهوم "التعايش المكاني" في الفكر الإسلامي من خلال الأحكام الخاصة بالحرم المكي، والتي تؤسس لعلاقة متوازنة بين الإنسان والمكان والكائنات الأخرى التي تشاركه هذا المكان المقدس.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر العربية

١. ابن الأثير، المبارك بن محمد الشيباني. (١٩٧٩). النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية.

٢. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. (١٩٩٧). فضائل القدس. تحقيق: جبرائيل سليمان جبور. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

٣. ابن الظهيرة، محمد بن عبد الله. (٢٠١٢). الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف. تحقيق: علي عمر. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

٤. ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب. (٢٠٠١). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية.

٥. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. (١٩٩٣). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

٦. الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله. (٢٠٠٣). أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. تحقيق: رشدي الصالح ملحس. بيروت: دار الأندلس.

٧. البروجردي، حسين الطباطبائي. (١٩٩٢). جامع أحاديث الشيعة. قم: المطبعة العلمية.

٨. الحكيم، محمد باقر. (١٩٩٦). علوم القرآن. قم: مجمع الفكر الإسلامي.

٩. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. (١٩٨١). التفسير الكبير (مفاتيح الغيب). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. (٢٠٠٩). المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دمشق: دار القلم.

١١. الصباغ، أحمد بن محمد المالكي. (١٩٩٤). تاريخ أمراء مكة المكرمة. تحقيق: عبد الله بن دهيش. مكة المكرمة: مكتبة الأسدي.

١٢. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه. (٢٠٠٦). علل الشرائع. قم: منشورات المكتبة الحيدرية.

١٣. الطباطبائي، محمد حسين. (١٩٩٧). الميزان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

١٤. الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠٠). جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٥. الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد. (٢٠٠٠). شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. مكة المكرمة: مكتبة الأسدي.

١٦. الفاكهي، محمد بن إسحاق. (١٩٩٤). أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه. تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. مكة المكرمة: مكتبة الأسدي.

١٧. الفراس، مسعود بن عيسى ورام بن أبي. (١٩٩٥). تنبيه الخواطر ونزهة النواظر. بيروت: دار التعارف للمطبوعات.

١٨. الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (٢٠٠٣). كتاب العين. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٩. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (٢٠٠٥). القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٠. المجلسي، محمد باقر. (١٩٨٣). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. بيروت: مؤسسة الوفاء.

٢١. المحمدي الري شهري، محمد. (٢٠١١). الحج والعمرة في الكتاب والسنة. قم: دار الحديث للطباعة والنشر.

٢٢. النوري، حسين بن محمد تقي الطبرسي. (١٩٨٧). مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل. بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

٢٣. بودالي، بن عون، وأم الخير شتائحة. (٢٠٢٢). المقدس في الإسلام: دراسة تحليلية عند الصوفية. مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، ٧(٣)، ٨٩–١٠٤.

٢٤. حاج مالك بن الشيخ داود. (١٩٨٨). الحقائق الإسلامية في الرد على المزاعم الوهابية. بيروت: دار الفكر.
٢٥. علي، جواد. (٢٠٠١). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت: دار الساقي.
٢٦. كراتشكوفسكي، اغناطيوس يوليانوفتش. (١٩٨٧). تاريخ الأدب الجغرافي العربي. ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
٢٧. مكارم الشيرازي، ناصر. (١٩٩٠). تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل. بيروت: مؤسسة البعثة.
٢٨. وزارة الحج. (٢٠٠٦). مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية: ٣-٤ ذو الحجة ١٤٢٦ هـ. مكة المكرمة: وزارة الحج والأوقاف.

المصادر الأجنبية

29. Meri, J. W. (1999). Aspects of Baraka (Blessings) and Ritual Devotion among Medieval Muslims and Jews. Medieval Encounters, 5(1), 36-67. https://doi.org/10.1163/157006799x00259